باب الكتب الجديدة

علم طباع الأطفال والمراهقين ، فى خدمة الآباء والمربين — تأليف اندريه لى جال . باريس ١٩٥٠ — ٤٥٩ صفحة

André Le Gall: Caractérologie des Enfants et des Adolescents, à l'usage des parents et des éducateurs. Presses Universitaires de France-Paris 1950. Pp. 459.

صدر هذا الكتاب ضمن مجموعة جديدة اسمها « الطباع » "Caractères" بإشراف الأستاذ رينيه ليسين R. Le Senne صاحب كتاب « علم الطباع » Traité de Caractérologie الصادر فى عام ١٩٤٥ . ويحاول ليسين فى هذا الكتاب إنشاء علم جديد للطباع معتمداً على البحوث التى قام بها فى أواخر هذا القرن عالمان هولنديان هما هيمنز وفيرزما Heymans & Wiersma . ويعد ليسين بحوث هذين العالمين الدعامة الأولى لإنشاء علم الطباع على أسس موضوعية فى نطاق علم النفس البحت ، أى باستخدام المعانى والمنطوقات السيكولوجية لتفسير الطبع من حيث هو بناء عقلى . وقد أدى التحليل السيكولوجى إلى إبراز ثلاثة عوامل أساسية تعين الطبع هى : الانفعالية والفاعلية أو النشاط ثم مدى تأثير التصورات الذهنية وصداها فى الشعور . ويجب أن ينظر إلى هذه العوامل على أنها عوامل جبلية أصلية متميزة بعضها عن بعض . وبناء على وجود هذه العوامل أو عدم وجودها بقياس كل واحد منها إلى الآخرين يمكن توزيع الطباع فى ثمانية نماذج هى : الجامح ، الغضبى ، العاطفى ، العصبى ، الدموى ، اللمفاوى ، المائع ، البليد . وقد أفاض ليسين فى وصف كل نموذج دون إغفال الأنواع الفرعية الموجودة داخل كل نموذج تبعاً لتأثير مجموعة من العوامل الإضافية بدرجات متفاوتة .

ومما هو جدير بالذكر أن ليسين لا يذهب إلى أنه من الممكن توزيع جميع الناس فى هذه النماذج الثمانية بصورة قاطعة ، بل يقول بوجود مجموعات متوسطة تربط بين الأطراف ، فهو ينتقل فى دراسته من العام إلى النوعى إلى الخاص بطريقة تدرجية ولكن دون إزالة الحدود التى تفصل بين كل نموذج والآخر .

ويطبق ليسين بأسلوبه الرائع هذه النظرية الجديدة فى وصف شخصية الفريد دى فينيي وتحليلها وتفسيرها ، مقدماً لنا فى ستين صفحة مثلا طيباً لتطبيق علم النفس فى دراسة شخصية الأديب والشاعر .

وقام أحد تلامذة ليسين بتطبيق نظرية أستاذه فى دراسة طباع الأطفال والمراهقين . فيحاول أندريه لى جال أن يقيم الدليل على أن أساليب التربية الخلقية يجب أن تتكيف وفقاً لطباع كل شخص أى وفقاً لما يتصف به كل شخص من انفعالية وفاعلية وصدى للتصورات الذهنية . وعلى ذلك لا يمكننا أن نقول بوجود قواعد عامة شاملة للتربية الخلقية ، بل هناك قواعد خاصة بكل طبع ، فلا يجدى اللين مثلا مع جميع الأطفال ، كما لا تجدى القسوة مع جميعهم .

وتمتاز تحليلات المؤلف بواقعيتها وبقربها من الحياة اليومية ولا يفوت المؤلف أن يوضح ما يقوله بذكر الحالات الإكلينيكية التى درسها وعددها ثلاثة وثلاثون حالة تمثل مختلف النماذج . ويضم الكتاب فصلين إضافيين أحدهما يتناول الصعوبات الجنسية وكيفية علاجها والثانى تشخيص الانحرافات الخلقية وعلاجها . كما يجب أن نشير إلى فصل هام يتناول موضوعاً ذا خطر كبير فى التربية هو موضوع الكسل وأنواعه وطريقة علاجه .

ى . م

عصاب الهجر — تأليف جرمين جكس — باريس ١٩٥٠ — ١٤٠ صفحة

Germaine Guex: La Névrose d'Abandon. Presses Universitaire de France. Paris, 1950. Pp. 145.

يجتاز علم النفس أزمة جديدة من أزمات نموه منذ أن خرج من دائرة الملاحظات الذاتية وأخذ يستخدم الأساليب التجريبية التى تعتمد خاصة على المشاهدة الخارجية لدراسة سلوك الإنسان فى بيئاته المختلفة . وقد أدى هذا الاتجاه الجديد فى المنهج والبحث إلى تعدد فروع علم النفس ، بل إلى قيام مدارس مختلفة تنشد كل منها أسلوباً خاصاً فى التأويل والتفسير . وكان التيار السائد تيار البحوث التجريبية التى تجرى فى المعمل لتحليل الحالات الشعورية والوظائف العقلية ، ويمثل هذا التيار ما يسمى عادة بعلم النفس الأكاديمى ، أى علم النفس الذى يدرس بصفة رسمية أو شبه رسمية فى المعاهد والجامعات .

وبجانب هذه البحوث التجريبية بحوث أخرى تجرى فى المستشفيات والعيادات بإشراف أطباء الأمراض النفسية والعقلية ، ومن أهم هذه البحوث الإكلينيكية دراسات فرويد وتلامذته فى التحليل النفسى . وأخذت دراسات التحليل النفسى تتسع وتتشعب حتى تكونت منها نظرية شاملة بدت فى عهدها الأول بعيدة كل البعد عن الدراسات الأكاديمية وذلك بمصطلحاتها الخاصة وتأويلاتها التى كانت ترمى إلى إبراز الدور الهام الذى تقوم به النزعات الوجدانية اللاشعورية وخاصة الدوافع الجنسية فى تشكيل السلوك الإنسانى فى صوره السوية والشاذة على السواء . غير أن حالة التنافر التى كانت قائمة بين التحليل النفسى وعلم النفس الأكاديمى ما لبثت أن ضعفت وحاول بعض الباحثين الربط بين علم النفس التجريبى والتحليل النفسى ويلاحظ أن حركة التقرب بينهما آخذة فى النمو ولنا أحسن شاهد على هذا ما جاء فى المحاضرة التى أفتتح بها الدكتور لاجاش D. Lagache دروسه فى السربون عام ١٩٤٧ والدكتور لاجاش طبيب ومحلل نفسى وأستاذ علم النفس بجامعة باريس فى الكرسى نفسه الذى شغله من قبل ديلاكروا وجييوم وبرادين ، ولأول مرة فى فرنسا يغزو التحليل النفسى بصفة رسمية أقوى معقل من معاقل علم النفس الاكاديمى ومما هو جدير بالذكر أن يهدى لاجاش كتابه إلى الأستاذ هنرى بيرون Henri Piéron وهو من أساطين علم النفس الفسيولوجى والتجريبى فى العالم .

ولكن يجب أيضاً أن نقرر أيضاً أن التحليل النفسى بدوره أخذ يتأثر ببحوث علماء النفس الأكاديميين وحسبنا أن نذكر هنا تأثير الأستاذ بياجيه Piaget ، أستاذ علم نفس الطفل بجامعة جنيف ، فى البحوث التى ينشرها علماء نفس التحليل النفسى فى سويسرا والولايات المتحدة. والكتاب الذى نحن بصدده « عصاب الهجر » لمؤلفته جرمين جكس من أعضاء الجمعية السويسرية للتحليل النفسى ، يحاول توضيح بعض آراء فرويد فى ضوء التحليلات التى قدمها لنا بياجيه فى دراساته لعقلية الطفل وأساليب تفكيره وكيفية تصوره للعالم الخارجى .

وترمى المؤلفة فى هذا الكتاب إلى وصف نوع جديد فى الصعاب لم يسترع بعد انتباه علماء التحليل النفسى وتطلق عليه أسم « عصاب الهجر » أو الهجار . وفى وصفها لهذا العصاب وتفسير نشأته تختلف جرمين جكس مع فرويد فى بعض

(١) نشرت هذه المحاضرة بعد تنميتها بعنوان «وحدة علم النفس» عام ١٩٤٩ — ٦٢ صفحة
L'Unité de la Psychologie ; Psychologie Expérimentale et Psychologie Clinique. Presses Universitaires de France. Paris 1949. Pp. 62.

النقط أو بعبارة أدق تبرز بعض النواحى فى تكوين النفسية فى الطفولة الأولى لم يعن بها فرويد العناية الكافية . وعند ما نقول أن عصاب الهجر هو نوع جديد من العصاب لا نريد القول بأن أعراضه جديدة ، بل أن هذه الأعراض لم تشخص فى مجموعها التشخيص الصحيح وكانت تعالج داخل أنواع أخرى من العصاب مثل عصاب الحصر Anxiety neurosis أو عصاب الحصار obsession وربما ترجع بعض حالات الفشل فى العلاج بالتحليل النفسى إلى خطأ التشخيص .

وتتلخص أعراض الهجار فى عوامل ثلاثة هى : الحصر(١) الذى يوقظه الهجر ، ثم ما تثيره حالة الهجر من عدوان ، وأخيراً ما يترتب على ذلك من ميل المريض إلى عدم التقدير الذاتى وميله إلى تعذيب نفسه .

وتتوسع المؤلفة فى وصف هذه الأعراض ومختلف المخاوف التى يعانيها المريض وما يبذله من جهد مضن فى الفوز بحب الآخرين وعطفهم ثم الامتناع عن تقبل الحب والعطف مؤثراً تدمير ذاته كأنه يريد معاقبة الآخرين عن طريق معاقبة نفسه .

ولا يتسع المقام لتتبع تحليلات المؤلفة وسنكتفى بالإشارة إلى النقط التى تختلف فيها جرمين جكس عن تعاليم فرويد . فعصاب الهجر يرجع تكوينه إلى عهد فى الطفولة الأولى سابق على المرحلة الاوديبية . إن معظم العصابات يرجعها المحللون إلى عقدة أوديب مع العلم أنهم يشيرون إلى تكوين عصاب الحصار فى المرحلة الشرجية السابقة على المرحلة الاوديبية ، غير أن أعراض الحصار تختلف عن أعراض عصاب الهجر ، فبينما نرى النزعة العدوانية التدميرية السادية متغلبة فى الحصار نجدها خفيفة الوطأة فى عصاب الهجر ، بل تكون النزعة المازوخية هى البارزة ، ويبدو أن عصاب الهجر يرجع إلى المرحلة الفمية إذ أن من أعراضه الشره الوجدانى والبحث الملح عن دلائل العطف والمحبة الصادرة عن الآخرين .

ومن جهة أخرى ، يميل فرويد إلى الحد من أهمية الجبلة Constitution أى من أهمية الاستعدادات البيولوجية النفسية الفطرية ويميل إلى الألحاح بصفة خاصة أولا على الدور الهام الذى تقوم به البيئة العائلية فى مساعدة النمو النفسى

---

(١) لازلنا نؤثر استعمال لفظ «حصر» لترجمة Angoisse الفرنسية و Anxiety الإنجليزية ونرى أن لفظ القلق أو الجزع أو الوله إلخ ... لا يعبر تماماً عن المأساة الصامتة المظلمة الخانقة التى يعانيها المصاب بالحصر .

الطبيعى أو إعاقته وثانياً على أثر الصدمات . ولكن على العكس من ذلك نرى المؤلفة تشير إلى أهمية العوامل الجبلية الاستعدادية الفطرية فى نشأة عصاب الهجر وإن كان للأبوين وللصدمات أثر ما فى نشأة هذا العصاب ؛ فقد لاحظت فى كثير فى الحالات التى حللتها أن حسن رعاية الأبوين واتزانها وروح العدالة والانصاف فى معاملة الصغار لا تحول دون ظهور هذا العصاب فى الأشخاص المعرضين له بحكم تركيبهم الفطرى .

ضف إلى ما سبق أن أثر العوامل اللاشعورية ضئيل جداً فى هذا العصاب ، فليس هناك كبت نظراً لعدم تكوين الأنا الأعلى ، فالصراع ليس بين الهذا Id والأنا الأعلى Super-ego ، بل ينشأ الصراع فى مجال الأنا Ego ويدور فى عالم المعاناة الشعورية .

أما فيما يختص بالعلاج ، فتستخدم المؤلفة الطريقة الإيجابية ، خصوصاً عند ما يشرف المريض على الشفاء ؛ ولكن ليس المقصود من الطريقة الإيجابية تزويد المريض بالنصائح العملية بل مساعدته على اكتشاف ما يتوق إليه وعلى مواجهة الواقع وتوجيه قواه النفسية نحو ميادين جديدة للنشاط مع احترام حريته فى اختيار هذه الميادين الجديدة .

يوسف مراد

النمو النفسى : للأستاذ عبد المنعم المليجى

مدرس علم النفس المساعد بمعهد التربية والأخصائى النفسى بمدرسة الخدمة الاجتماعية ومصلحة الأحداث

(لجنة النشر للجامعيين فى ٢٦٥ صفحة من الحجم المتوسط)

يمكننا أن نعتبر هذا الكتاب إطارا شاملا يضع حدود دراسة تكاملية للنشاط النفسى . وتحاول هذه الدراسة أن تكشف عن مظاهر النشاط بطريقة تكوينية. ولكن المؤلف لم يتحيز للمدرسة التكوينية لأنه أراد — كما يبدو — أن يوصل بين معرفة القارئ اليومية بالنفس الإنسانية وبين علم النفس العلمى . وتفادى المؤلف ما يمكننا أن نراه ناقصاً فى المنهج التكوينى وبدأ من أول صفحة يربط بين النفس ككل وبين البيئة الاجتماعية على أساس المعرفة المباشرة « تلك معرفة

سيكولوجية تتاح لنا فى مواقف الحياة اليومية لا يحرم منها طفل أو راشد جاهل أو متعلم ، دون حاجة إلى كتب فى علم النفس » .

ويرى المؤلف أن دراسة النمو ليست دراسة تريد أن تصل إلى النمو ولكنها دراسة تمكننا من الوصول إلى القانون النفسى الذى يساعدنا على التنبؤ كما هو الشأن فى كل علم .

وبعد دراسة تفصيلية لظاهرة النمو اتجه المؤلف إلى تتبع مراحل النمو حسب التطور الزمانى بعد أن أشعرنا بالفروق الموجودة فى الدراسات النفسية المختلفة . واستطاع أن يكشف لنا عن أسرار جديدة لاحظها من خلال تجاربه ومقارناته بين حالات متعددة . ولا ننكر ما تمتاز به دراسة مواقف الطفل والمراهق فى ظروف متباينة من جدة وعمق .

وكان العرض لمدارس علم النفس من الباب الأول تمهيداً يوجه القارئ إلى نوع معين من الدراسة فى الكتاب . ولكننا بعد الإطلاع على ما يوجد من تخصص فى الدراسات النفسية نجد كتاب « النمو النفسى » غير متخصص . بل نجده يوهم بالتخصص مع محاولة الجمع الواسع . وما علينا إلا أن نقارن بين عناوين الفصول وبين محتوياتها لنجد الكثرة فى المواد والسرعة فى العرض. فلو أردنا أن ندخل موضوع النمو النفسى فى فرع من فروع علم النفس المذكورة ، لما وجدنا نوعاً يسع هذا البحث لطرقه ومعظم الموضوعات المتباعدة . نجده — مثلا — بدراسة النمو الحسى الحركى يدنو من علم النفس الفسيولوجى . وبدراسة الشعور الدينى يتعمق فى علم النفس الاجتماعى . كما أن التمرد والصراع النفسى يدخلان فى علم النفس المرضى . وهناك موضوعات ترجع إلى علم النفس العام وعلم النفس التربوى وغير ذلك . والغريب أن نجد عند هذا المؤلف الشاب اتجاها قديماً إلى تصنيف الحالات النفسية ، وهو الاتجاه المعروف عند ماكدوجل الذى يقسم ميادين الحالات النفسية إلى ثلاثة أقسام : الإدراك والوجدان والنزوع . والتى تذكرنا بالتقسيم اليونانى القديم . ويذكر الأستاذ المؤلف : « من ناحية العمليات الفعلية كالإدراك والتصور والتخيل والتذكر أو من الناحية الوجدانية كالانفعالات المختلفة والعواطف والعقد ، ثم من الناحية النزوعية أى السلوك من حيث دلالته على دوافع معينه وقدرات عامة أو خاصة » . صفحة ١٢ .

وفى الكتاب مواد هامة وتجارب جديدة وملاحظات دقيقة يمكنها أن تؤدى

إلى تصنيف خاص للحالات النفسية ولكننا مع الأسف نجد أن المؤلف يكتفى بهذا القدر البسيط فى الحديث عند تصنيف الحالات النفسية ويدخل الإدراك والتصور والتخيل والتذكر فى العمليات العقلية . ولا شك أن المقصود هنا هو العمليات الذهنية لا العمليات العقلية المختصة بالربط المنطقى . ونجد المؤلف فيما بعد فى حديثه عن الانتباه يتحدث عن النشاط الذهنى مما يدل على وجود تمييز واضح بين النشاط العقلى المنطقى وبين النشاط الذهنى العام . وهذا الاتجاه فى تصنيف الحالات النفسية بهذه الطريقة السريعة التى جاءت فى أول البحث بدلا من أن تكون التنيجة النهائية جعلت المؤلف يهمل التعمق فى دراسة الناحية الذهنية التى تتمثل فى الذكاء . وهنا يجب أن نلفت نظر المؤلف إلى أهمية بحث « بزوغ الذكاء » L'éveil de l'intelligence للدكتور يوسف مراد وكذلك أبحاث بياجى وهنرى فالون وقدكان فى إمكان المؤلف أن يستغل تعريفه للشعور المبنى على فكرة الخبرة النفسية فى إقامة بناء قوى مستعملا المواد القيمة التى جمعها من ملاحظاته وتجاربه . ولقد كان فى إمكانه أيضاً أن يستغل نظرته الجديدة لموضوع العدوان عند الطفل ليربط بين هذا السلوك ونظرة جديدة ومبتكرة فى التكيف .

ويجب أن نعترف للمؤلف ببراعة فائقة فى الجمع بين آرائه الخاصة وآراء الباحثين الذين طالع لهم . ويشعر القارئ بعد انتهائه من مطالعة كتاب « النمو النفسى » بما بذله المؤلف من جهود فى المطالعة والملاحظة والتجربة ليخرج لنا أفكاره فى أسلوب سهل يجمع بين العمق والدقة . ويمتاز هذا الكتاب بتعريفات علمية للشعور عامة والشعور الدينى خاصة الذى يتمثل فيه التكامل النفسى متأثراً بالعوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية .

ويخيل إلىّ أن الأستاذ المليجى فى طريقه إلى مذهب متكامل لو عرف كيف يتحرر من القيود المدرسية .

الدكتور أبو صرين الشافعى

PUBLICATIONS RECEIVED

L'Année Psychologique. Publiée par Henri Piéron, Alfred Fessard et Paul Fraisse. 49ème Année (1948). Presses Universitaires de France. Paris, 1950. Pp. 700.

Moslem Art in the Fouad I University Museum. By Zaky M. Hassan. Vol. I. Cairo, Fouad I University Press, 1950. Pl. 115.

Annales de l'Université de Paris. 20e Année, No. 4, Octobre-Décembre 1950. Sorbonne, Paris.

Journal of Genetic Psychology

The British Journal of Psychology

The International Journal of Psycho-Analysis

Psychological Abstracts

Current List of Medical Literature

Pédagogie

Chronicle of the World Health Organization

الكتب المهداة إلى المجلة

مسائل فلسفة الفن المعاصرة — تأليف ج . م . جويو وترجمة سامى الدروبى — دار الفكر العربى — ١٩٥٠ — ١٨٨ ص .

الصراع النفسى — تأليف الدكتور أبو مدين الشافعى — لجنة البيان العربى — ١٩٥٠ — ٨٤ ص .

النمو النفسى — تأليف عبد المنعم عبد العزيز المليجى — لجنة النشر للجامعيين — ١٩٥٠ — ٢٦٦ ص .